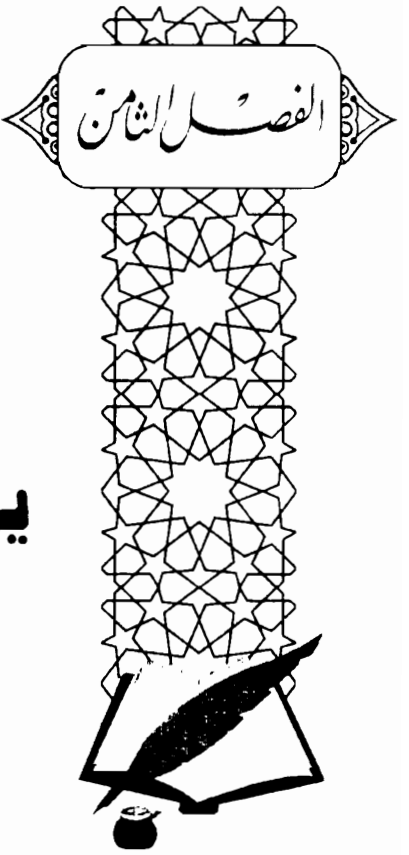

الجنة والنار..
يوم البعث والحساب

الفصل الثامن

الجنة والنار.. يوم البعث والحساب

كنا قد بدأنا معكم رحلة الحديث عن الأماكن المشهورة فى القرآن الكريم ببيان هذه الأماكن التى ارتبطت بتجمعات البشر فوق سطح الكرة الأرضية سواء فى المدن أو القرى، أو البلاد شرقًا وغربًا، كما بينا كذلك ما جاء بشأنها فى القرآن الكريم. ثم تطرقنا على نفس الدرب إلى حديث آخر عن أماكن العبادة التى جاء ذكرها فى كتاب الله، وأخذنا فى المسير قدمًا نحو استكمال بيان هذه الأماكن مروراً بما ارتبط بالإنسان، نفسه ومافى جسده من أماكن تدل على عظمة الخالق. وكذلك ما ارتبط بأماكن إقامته سواء داخل الخيام أو القصور أو الحصون.

ليس ذلك فقط، بل لقد قادنا المسير كذلك إلى بيان الأماكن المشهورة التى ارتبطت بنهاية حياة الانسان، حيث القبور والأحداث والبرزخ والأعراف...

وبقى لنا من حديث هذا المشوار الطويل أن نحدثكم كذلك عن الاماكن المشهورة في كتاب الله والتى جاء ذكرها مرتبطاً بأماكن ما بعد الحساب ويوم القيامة.

ولقد رأينا ضرورة إتمام هذه الخطوة من أجل تغطية كافة الأماكن التى جاء ذكرها فى كتاب الله والتى مست من قريب أو بعيد حياة البشر سواء وهم أحياء أو حتى من بعد موتهم أو من بعد حسابهم يوم القيامة.

ولا شك أن الحديث القادم سوف يكون مفعم بالآلام والآمال في آن واحد، هذه الآمال التى نحملها داخل قلوبنا من أجل أن نصل من خلالها إلى جنات الله ونعيمه، مادمنا قد عملنا صالحاً ، هذه الأعمال الصالحة ليست وحدها هى سبيلنا لنيل هذه المنزلة العالية. بل لا بد كذلك من رحمة الله تعالى..

وهناك أصناف من البشر من الذين حملوا فوق أكتافهم أوزارهم كى يدخلوا بها

إلى جهنم، وهم كذلك يطمعون، فى رحمة الله وعدله أن يخفف عنهم هذا العذاب ويبدله بجنات ونعيم!!.

إذن الكلام القادم والمرتبط بأوراق هذا الفصل يدور فى فلك الأماكن التى سوف ندخل إليها بعد حساب يسير أو عسير. إما جنات ونعيم وإما نار وجهنم وجحيم.

ومما لاحظناه فى كتاب الله، أن للجنة أسماء كثيرة كما أن لها كذلك تقسيمات ومراتب ومراحل، ولكل منها صفات أنبأنا بها ربنا تعالى فى كتابه العزيز.

وكذلك وجدنا أيضاً أن للنار درجات، ومع ذلك فقد فضلنا أن نتناول كل على حده وفق ما أخبرنا به. كتاب الله العزيز فى سوره وآياته، الكريمة ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة، فهناك الجنة والفردوس والصراط المستقيم ودار السلام وسدرة المنتهى وجنات عدن، وهناك النار وجهنم والجحيم والحافرة والحطمة والدرك الأسفل ودار الفاسقين وسقر والسعير والساهرة.

ويبدو لنا جلياً بأن هناك فروق جوهرية بين كل من هذه الأماكن سواء ما ارتبط منها بالجنة أو بالنار، وهذا ما سوف نوضحه وبشكل مفصل حين نتناول هذه الأماكن مكاناً بمكان، على أمل أن نكون بهذه الخطوة قد وفينا ما وعدنا به فى المقدمة من بيان كل أو معظم الأماكن المشهورة فى كتاب الله على تنوعها واختلافها.

وربما يطول بنا العمر كى نقدم على هذا الطريق الجزء الثانى من هذا الكتاب والذى سوف نخصصه للشخصيات المشهورة فى القرآن الكريم، فتعالوا إلى التفاصيل.

** الجنة.. التى وعُد بها المتقون:

حين نتحدث عن الجنة كمكان مشهور ذكره الله فى آياته وسوره الكريمة. فإننا نعنى بذلك تلك الجنة التى وعُد بها المتقون من الذين حالفهم الحظ وشهدت لهم أعمالهم الطيبة وفق ما جاء فى ميزان حسناتهم بأنهم يستحقون دخولها من بعد رحمة الله وعنايته. ذلك لأن القرآن الكريم وكما سوف يمر علينا بعد لحظات قد ذكر

لنا العديد من الجنات وأنواعها، خاصة ما كان منها فى دنيانا التى نعيشها أو التى كنا قد عشناها من قبل.

ومن أجل أن نوضح حديثنا المقصود فى هذه الفقرة نقول إن الجنة التى هى محور الحديث القادم إنما هى الجنة التى قال عنها رسولنا الكريم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن رحمة الله على عباده أن أشار لنا فى بعض آيات كتابه العزيز إلى ما سوف يراه هؤلاء المتقون فى تلك الجنة الموعودة، وهى مجرد صفات ليس إلا!!..

ولقد اختار ربنا العظيم فيما حدثنا فيه عن هذه الجنة، بعض الصفات التى نعرفها حولنا، أو مما نراه أو نشتاق إليه، وذلك كما يقول بعض المفسرين والعلماء على سبيل التقريب، وليس على سبيل التقرير. بدليل قول رسولنا الكريم السابق بشأن ما سوف يكون بهذه الجنة الموعودة.

إن الجنة المقصودة فى حديث هذه الأوراق باعتبارها مكان مشهور فى كتاب الله هى الجنة التى جاء ذكرها فى سورة آل عمران الآية (١٣٣) فى قوله تعالى: ﴿وسارِعُوا إلىٰ مغفِرةٍ مِن رَبِّكُمْ وجنَّةٍ عرضُها السَّمواتُ والأرضُ﴾

إذن ووفق كلمات الآية السابقة..سوف يخلق الله لعبادة المتقين جنة عرضها السموات والأرض.هذه الجنة ذاتها قد جعل الله تعالى بها مراتب ودرجات وأماكن خاصة بعينها، سوف يفوز بها أصحابها وفق ما شاء الله تعالى.

ومن أجل أن يقرب ربنا إلى عقولنا ما سوف نرى شبيهاً له من النعم والمنح فى هذه الجنة، ساق لنا فى بعض الآيات والسور الكريمة نماذج لها مما نعرفه ونلمسه فى حياتنا الدنيا، مع الفارق الذى أشار إليه رسولنا الكريم وحدثناكم عنه منذ لحظات.

يقول ربنا تعالى عما سوف نستمتع به فى الجنة فى سورة الرعد الآيه (٣٥) ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفى قوله تعالى فى سورة يس الآيه (٥٥) ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وفى سورة محمد الآية (١٥) ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾.

وهكذا يضرب لنا الله الأمثال من أجل أن نتصور ونتخيل أحوال هؤلاء المؤمنين الذين فازوا بالجنة العظيمة، وذلك لأجل تحفيزنا على فعل الخيرات والتسابق نحو التقوى والإيمان.

وعندما نقف على مقربة من حروف آيات الله وسوره الكريمة ومما جاء بشأن هذه الجنة، سوف نكتشف أن ما جاء عنها لفظا فى كتاب الله إنما هو محصور فى ٣٨ سورة كريمة وأكثر من ٦٥ آية كريمة. وأن ما جاء فى القرآن الكريم عن الجنة ليس كله مرتبطاً بالجنة التى وعد بها المتقون، بل هناك جنان أخرى لنا فى الدنيا.

ولقد لاحظنا أن لفظ الجنة يتكرر أكثر من مرة فى عدة سوركريمة مثلما جاء فى سورة البقرة حيث ذكرها ربنا سبع مرات فى سبع آيات كريمة. وكذلك فى سورة الأعراف التى جاء بها ذكر الجنة عشر مرات فى عشر آيات.

وبالعودة إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمعرفة المزيد عن الجنة بألفاظها المختلفة، وجدنا أن الله تعالى قد ذكرها لنا فى صيغ لفظية متعددة منها لفظ "جنتك" فى سورة الكهف فى الآيتين (٣٩) و(٤٠)، ولفظ "جنته" فى الكهف أيضاً الآية (٣٥) "وجنتى" الآية (٣٠) فى سورة الفجر، ولفظ "جنتان" فى سورة سبأ الآية (١٥) والرحمن (٤٦) و (٦٢).

ولفظ "جنتين" فى سورة الكهف الآيتين (٣٢) و (٣٣) وسبأ (١٦) و (٥٤) الرحمن، وكذلك لفظ "جنتيهم" فى سورة سبأ الآية (١٦).

ومن عجيب ما جاء في كتاب الله أيضا عن لفظ الجنة أنه جاء مجموعاً على جنات فى أكثر من سورة كريمة، مثل قوله تعالى فى سورة البقرة الآية (٢٥): ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾وهذا يدل دلالة واضحة على ما سبق وحدثناكم عنه بأن هذه الجنة التى عرضها السموات والأرض بها جنات عدة من حيث المراتب والمنازل التى تليق بكل صاحب عمل أو رسالة وفقه الله وفاز بها بعد يوم الحساب. والله سبحانه وتعالى يؤكد ذلك أيضا في الآية (١٥) في سورة آل عمران وفى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾

وعند إقدامنا على إحصاء عدد الآيات والسور الكريمة التي جاء بها ذكر اللفظ "الجنات"...وجدنا أنها تبلغ ما يقرب من سبعين آية فى أكثر من ٤٥ سورة كريمة، وكذلك حين وقفنا على معانى حروف وكلمات هذه الآيات اكتشفنا أنها جميعا تخبرنا بما اختاره رب العالمين لعباده المتقين من ألوان النعيم فى هذه الجنات.

وكأنما جاءت جميعها لتكمل لنا ما أخبرنا به ربنا الكريم عن صفات الجنة التى وُعد بها المتقون، ليس هذا فقط بل وتخبرنا هذه الآيات أيضاً بأسماء بعض هذه الجنان مثل جنات النعيم فى قوله تعالى فى سورة المائدة آية (٦٥) ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وما جاء بشأنها فى سورة يونس الآية (٩) والشعراء الآية (١٤٧) ولقمان الآية (٨) والصافات الآية (٤٣) والواقعة الآية (١٢) و (٣٤) القلم، وكذلك جنات الفردوس فى الآية (١٠٧) فى سورة الكهف، ثم جنات عدن فى سور: التوبة (٧٢) والنحل (٣١) والكهف (٣١) و(٦١) مريم و (٧٦) طه و(٣٣) فاطر و(٨) غافر و(١٢) الصف و(٨) البينة و(٢٣) الرعد. ثم لفظ جنات المأوى في سورة السجدة الآية (١٩).

من كل ما مر علينا نكتشف أن كتاب الله قد حدثنا عن الجنة بلفظها المفرد باعتبار مساحتها تساوى مساحة السموات والأرض، ثم بعد ذلك أخبرنا ببعض أفرع هذه الجنة مثل جنة النعيم وعدن والفردوس والمأوى، وكلها كما ذكرنا إما فروعاً للجنة الأم أو مراتب ودرجات ينزلها كل صاحب حظوة عند الله، من خلال ما قدم من أعمال طيبة.

ويجوز كذلك أنها درجات خاصة بشخصيات بعينها مثل الرسل و أولياء الله الصالحين والأمهات والشهداء وغيرهم.

ومما لاحظناه كذلك فى هذه الجنات أن الله تعالى قد ذكر لنا فيما يخص محتواها: الأنهار والعيون التى تجرى من تحتها ثم المساكن الطيبة وبعض أنواع الفاكهة والحلى، إضافة إلى بعض الشخصيات المتميزة والتى سوف تحظى بهذا الشرف العظيم والفوز به، كما لاحظنا كذلك أن الله تعالى وفى كتابه الكريم قد أطلق على هذه الجنة،

أسماء أخرى مثل "دار المتقين" فى الآية (٣٠) فى النحل و"دار السلام" فى سورتى الأنعام (١٢٧) ويونس (٢٥). و"دار المقامة" فى سورة فاطر الآية (٣٥) و"دار القرار" فى الآية (٣٩) فى سورة غافر.

** الصراط المستقيم.. أولى منازل الجنة:

كذلك ومن الأماكن المشهورة والتى جاء ذكرها كثيراً فى كتاب الله.. الصراط المستقيم. الذى هو المعبر الآمن إلى جنة الله فى الآخرة. ولقد تبارى العديد من المفسرين ومن علماء الدين فى تصوير هذا المكان والحديث عن أهميته، خاصة فيما جاء بشأنه ومرتبطاً بالآخرة، وقالوا فى هذا: إنه الطريق الآمن الموصل لجنات الله تعالى ولا يعبره إلا المتقين الذين رضى الله عنهم لأعمالهم الصالحة. كما شمل حديثهم كذلك بيان أهمية وقيمة الصراط المستقيم فى الدنيا باعتباره الموصل للصراط المستقيم يوم القيامة... والصراط المستقيم فى الدنيا هو طريق الله والإيمان به وبرسله وكتبه وباليوم الآخر، ثم العمل الصالح.

ولقد حدثنا عبد الله الحسين الدمغانى فى كتابه "الوجوه والنظائر" عن الصراط بكثير من التفاصيل، ومما قاله فى هذا السياق: إن الصراط يعنى الطريق وذلك مثلما جاء فى قوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ الآية (٨٦). وكقوله تعالى فى سورة الصافات: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الآية (٢٣) بمعنى طريق الجحيم.

أما الوجه الثانى لمعنى الصراط فهو الدين، مثلما جاء فى قوله تعالى فى سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الآية (٦) يعنى الدين االقويم، وقوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ الآية (١٥٣). أو فى قوله تعالى:﴿هذا صراط ربك﴾ يعنى دين ربك المستقيم. [١]

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم جاءت كلمة "الصراط" بمعنى الطريق. وذلك فى عدة سور وآيات هى: البقرة (١٤٢) و(٥١) و(١٠١) فى آل عمران و(١٦) المائدة

(١) الوجوه والنظائر ـ مصدر سابق.

و(٣٩) و(٨٧) و(١٦١) الأنعام و(٨٦) الأعراف و(٢٥) يونس و(٥٦) هود و(٤١) الحجر و(٧٦) و(١٢١) النحل و(٣٦) مريم و(٥٤) الحج و(٧٣) المؤمنون و(٤٦) النور و(٤) و(٦١) و(٦٦) يس و(٥٢) الشورى و(٤٣) و(٦١) و(٦٤) الزخرف و(٢٢) الملك.

كما جاء نفس اللفظ كمكان مشهور فى كتاب الله "صراطاً" فى سورة النساء الآية (٦٨) واللفظ فى (١٧٥) النساء أيضا و(٤٣) مريم و(٢) و(٢٠) الفتح.. كما جاء مرتبطاً بأداة التعريف الألف واللام "الصراط" فى سورة الفاتحة الآية (٦) واللفظ فى (١٣٥) طه و(٧٤) المؤمنون. و(١٨) الصافات و(٢٢) ص. ثم إضيف إلى نفس اللفظ كلمة الله فأصبح "صراط الله" أى دينه القويم وهو الإسلام في سورة الشورى الآية (٥٣)، ولفظ "صراط الحميد" أى الإسلام فى سورة الحج الآية (٢٤) ولفظ "صراط ربك" بمعنى الإسلام أيضا..فى سورة الأنعام (١٢٦)، ولفظ "صراطك" أى طريقك فى سورة الأعراف الآية (١٦). ولفظ "صراطى" في سورة الانعام الآيه (١٥٣).

وفى إحصاء سريع لمعرفة ما قيل بشأنً الصراط المرتبط بالدنيا والمرتبط بالآخرة أيضا وما جاء بشأنهما فى القرآن الكريم نكتشف من خلاله أن الله تعالى قد ذكر الصراط المرتبط بالدنيا فى سور البقرة فى الآيتين (١٤٢) و(٢١٣) وفى آل عمران الآية (٥١) و(١٠١) والمائدة (١٦) و(٣٩) الأنعام (٨٧)أيضا من نفس السورة.

أما ما ارتبط بالآخرة فقد جاء لفظ الصراط فى سورة الفاتحة الآية (٦) و(٧). و(١٢١) النحل و(٥٢) الشورى و(٢٢) الملك.

وهناك ملحوظة مهمة كان لا بد من الإشارة إليها فى هذا السياق وهى أن الله تعالى وبحكمته قد مزج فيما جاء ذكره بشأن الصراط ما بين الدنيا والآخرة باعتبارهما طريقًا واحداً يوصل إلى بر الأمان والفوز بالجنة ونعيمها، ولكن ومع ذلك فنحن نؤكد أن الصراط المستقيم فى الآخرة هو أشد إختباراً من الصراط االمستقيم فى الدنيا لأنه يعتبر الممر الآمن الأخير للانسان للفوز برضوان الله ونعمه المتعددة فى

جنات النعيم. مما حدى ببعض العلماء إلى تصوير هذا الصراط بكونه كحد السيف، وأقل من حجم شعرة فروة الرأس.

ويبدو أنهم قد لجأوا لمثل هذه الألفاظ من أجل أن يوضحوا لنا أهميه العبور على الصراط، وضرورة التمسك أيضاً بالأعمال الصالحات التى تساهم وتساعد فى المرور فوقه بأمان وبلا أضرار أو أعطال !

وبالتالى سيكون لأصحاب السعادة والحظوة أول درجات السير فى اتجاه الجنة الموعودة.

** سدرة المنتهى.. المقام الرفيع:

وكذلك من الأماكن المشهورة فى كتاب الله والتى لم يكن يعرف عنها أحد من البشر أية معلومات إلا من خلال القرآن الكريم وبالذات فى سورة النجم الآية (١٤) هو لفظ "سدرة المنتهى".

هذه الآيه التى جاء ذكرها بمناسبة تلك الرحلة المباركة التى أُخِذ إليها رسولنا الكريم ﷺ ومعه الملك جبريل عليه السلام والمعروفة برحلة المعراج.

وسدرة المنتهى معناها فى بعض التفاسير: شجرة نبق موجدة عند يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة أو من غيرهم، ولقد كرم ربنا تعالى رسولنا الكريم عندما زارها فى رحلته إلى السموات العلا، كما جاء ذكرها فى نفس السورة فى الآية (١١٦) فى قوله تعالى "يغشى السدرة ما يغشى".

والملاحظ أنك حين تقرأ هاتين الآيتين سوف تكتشف أن الله تعالى قد ربط بين السدرة وبين جنة المأوى وهى إحدى أفرع الجنة الكبرى.

هذه الجنة وكما يقول تفسير الجلالين إنها جنة المأوى التى لا يقيم فيها إلا الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين، ويبدو لنا من ذلك أن هذه السدرة ما هى إلا مكان خاص جداً لا يرتاده أى منا إلا بأمر من العلى العظيم، وقد شرف الله رسولنا الكريم بزيارتها من دون جبريل عليه السلام، الذى توقف عند مقام حدده له رب العالمين،

وبالتالى لم يتقدم إليها.. فى حين تقدم لزيارتها النبى الكريم وفق ما أخبرنا به رسولنا فى حديثه عن رحلة المعراج.

أما الإمام الطبرى فيقول عن سدرة المنتهى: "أن رسولنا الكريم قد رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى على صورته الحقيقية.، وقد اختلف بعض المفسرين اختلافاً كبيراً فيمن رآه محمدﷺ، فى هذا المكان.. أهو جبريل أم هو رب العزة سبحانه؟ وقد ذهب كل من ابن عباس وعكرمة إلى أن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج بعين رأسه وكان ابن عباس يقول: "إن الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمد بالرؤية".. فى حين أنكرت ذلك عائشة حيث قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله لأن الله تعالى يقول: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"، وكانت تقول: إنما رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين: مرة فى الأرض حين هبط من السماء وقد سد عظم خلقه ما بين السموات والأرض، ومرة عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح.

ويؤكد معظم المفسرين ومنهم الطبرى أن الآيات الكريمات في سياقها ودلالتها لا تشير إلى رؤية الرسول ﷺ لربه، لأن الحديث فيها إنما جاء عن جبريل، بدليل قوله تعالى" علمه شديد القوى.، وقوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ فالضمائر كلها تشير وتدل على أن المراد به جبريل عليه السلام[1].

وقال الطبرى أيضا عن سدرة المنتهى: إنها المكان الذى فيه الشجرة التى ينتهى إليها علم الخلائق، وهى شجرة النبق، ونفس هذا المعنى ذهب إليه الدكتور نبيل عبد السلام هارون فى معجم الوجيز حين قال: سدر: جمع سدرة وهى شجرة النبق، وهو شجر شائك وفى ثمره حلاوة، والسدرة: يراد بها سدرة المنتهى: وهى شجرة بأقصى الجنة [2].

وعلى نفس هذا النهج سار المعجم الذى أخرجه مجمع اللغة العربية والذى جاء

(١) مختصر تفسير اللطبرى - مصدر سابق.

(٢) المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم - د. نبيل عبد السلام هارون.

فيه تحت حرف "س" السدر: شجرة النبق ومفردة سدرة، وسدرة المنتهى: شجرة النبق.

وكذلك الأمام النسفى الذى قال فى تفسيره للآية الخاصة بسدرة المنتهى: أن الجمهور ذهب إلى أنها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش، والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء، وكأنها في منتهى الجنة وأخرها، وقيل لم يجاوزه أحد وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم، ولا يعلم أحد ما وراءها، وقيل هي المكان الذي تنتهى إليه أرواح الشهداء.

ونحن نؤكد فى هذا السياق أن كل ما سبق قوله على لسان هؤلاء المفسرين وأصحاب المعاجم اللغوية أو اللفظية إنما هى مجرد اجتهادات محمودة. وقد أضاءت لنا طريق البحث عن ماهية هذا المكان وموقعه. باعتباره من الأماكن المشهورة فى القرآن الكريم ويرتبط كذلك برحلة سيد الخلق إلى السموات العلى.

وعلى أية حال.. فإننا لو أعدنا قراءة ما جاء بشأن هذا المكان سواء في كتاب الله أو في كتب التفسير سوف تصيبنا قناعة بأن سدرة المنتهى إنما هى ذلك المكان المحفوظ بأمر الله والذي لا يستطيع أحد أن يصل إليه باعتباره قريب من عرش الرحمن، ولا يجرؤ على ارتياده حتى الملائكة المقربون، وقوله تعالى "عند سدرة المنتهى". معناه.. أن هذه السدرة كانت المحطة الأخيرة للقاء كل من نبى الله محمد ﷺ ورسول الله جبريل عليه السلام.

** الأفق الأعلى.. من أسرار رب العالمين:

وفى السماء السابعة أيضا هناك الأفق الأعلى كمكان مشهور قد جاء ذكره في كتاب الله، وهو من الأماكن العظيمة ذات الأهمية الخاصة والتى ارتبطت كذلك برحلة رسولنا الكريم إلى السماء السابعة.

والأفق معناه لغوياً: الناحية، وقد جاء ذكره في سورتين: الأولى سورة النجم الآية (٧) والثانية سورة التكوير الآية(٢٣)، كما جاء بالقرآن الكريم نفس هذا اللفظ فى صيغة الجمع: "الآفاق": أى النواحى وذلك فى سورة فصلت الآية (٥٣).. وفى قوله

تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، ونفس هذا المعنى اللغوى ذهب إليه المعجم الوجيز الذى أكد على أن لفظ الأفق معناه الناحية، وأضاف: وكذلك هو خط دائرة يرى فيه المشاهد السماء كلها ملتقية بالأرض ويبدو متعرجاً على اليابس ومكوناً دائرة كاملة على الماء،وجمعه آفاق.

وبالعودة إلي كل من هاتين السورتين الكريمتين اللتين ذُكر بهما الأفق سواء الأعلى أو المبين اكتشفنا ارتباطهما برؤية رسولنا الكريم جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية، وقد رآه من قبل عندما كان ينزل هذا الملك الأمين إلى الأرض ليعلم رسولنا الوحى والقرآن الكريم، ولكنه فى السماء وفى أثناء رحلة المعراج رآه رسولنا فى صورته الحقيقية عند منعطف الأفق الأعلى أو المبين.

وبذلك لا نجد أية صعوبة في معرفة معنى وموقع ذلك الأفق، وهو مكان بالسماء السابعة ومن قبل أن يترك رسولنا الكريم لاستكمال رحلته إلى الله من دون جبريل لأنه غير مصرح له أن يجتاز هذا الحاجز الإلهى، أو إن شئت فقل فإن هذا الأفق كان هو ذلك المكان الذى كشف فيه جبريل عليه السلام عن شكله الحقيقى وصورته التى خلقها له رب العالمين.

ويؤكد ذلك.. ما ذهب إليه الإمام الطبرى حين قال فى تفسيره لهذه الآية: أن رسولنا الكريم قد رأى جبريل عليه السلام في صورته الملكية من قبل المشرق، وفى موضوع أخر يقول إن رسولنا الكريم قد رأى جبريل على صورته الحقيقية بمطلع الشمس الأعلى.

أما الدكتور أحمد شوقى إبراهيم فقد ذكر لنا أن الأفق المبين وفق ما جاء فى سورة التكوير معناه أقطار السماء ونواحيها. وهو ذلك المكان الذى رأى فيه رسولنا الكريم جبريل عليه السلام فى صورته الحقيقية.

وأضاف أن الله تعالى سماه بالأفق الأعلى أو الأفق المبين، لأن هذا الأفق تطلع منه الشمس من قبل المشرق.!

وابن عباس أورد لنا حديثا شريفاً عن ذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام: قال

النبيﷺ لجبريل عليه السلام:" إنى أحب أن أراك في صورتك التى تكون فيها فى السماء. فقال: لن تقدر على ذلك، قال: بلى، فخرج النبيﷺ فإذا هو قد أقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات، وقد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض..

وخلاصة الحديث عن هذا الأفق وكما سبق وأوضحنا أنه ما هو إلا مكان معلوم في السماء السابعة، ظهرت فيه صورة جبريل عليه السلام الحقيقة كما يبدو لغيره من الملائكة التي خلقها الله تعالى.

والمبين هنا أو الأعلى، مقصود به مكان ذات علو ورفعة وقيمة، تناسب مقام الملاك جبريل وضيفه فى السماء رسول اللهﷺ.

ولقد اختار لهما رب العالمين هذا المكان المنير والمضئ بأنوار الله تعالى، من أجل إتمام ذلك التعارف أو إحداث تلك الرؤية التي كان يتمناها رسولنا الكريم. فقد كان يرى الملك جبريل في صورته البشرية، حين كان يأتيه بالوحى ومعلماً إياه آيات القرآن الكريم وكافة المناسك المرتبطة بالعبادات الإسلامية، سواء في الصلاة أو في الحج أو في غير ذلك، ولا شك أن هذا الأفق كان متميزًا بكل صفات الكمال عن غيره من الأماكن العظيمة التى تزخر بها السموات السبع.

** الكوثر: نهر فى الجنة:

ومن الأماكن المشهورة والتى ارتبطت فقط بنبي الله الكريم محمد ﷺ دون غيره: الكوثر، والذى هو وفق الإجماع أعظم أنهار الجنة. وقد وهبه رب العزة لمحمدﷺ وحده دون غيره من عباده سواء من الرسل أو حتى من الملائكة.

ومن سمات هذا التكريم من رب العزة لنبيه الكريم أيضاً، أن أنزل سورة قرآنية شريفة باسم هذا المكان، وهى سورة الكوثر والتى يقول فيها ربنا الكريم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣)﴾.، وهي سورة تحتوي على ثلاث آيات فقط.

بل وقد بلغ هذا التكريم الرباني ذروته لنبيه الكريم لأن الله تعالى قد أنزل هذه السورة لكى ترد على سفهاء قومه من قريش من الذين أضل الشيطان عقولهم، فأرادوا لعنهم الله أن يسخروا من النبى ﷺ. وتقول كتب المفسرين عن ذلك: إن سفيها من قريش، يدعى العاص بن وائل قد أطلق على الرسول الكريم صفة الأبتر، وهو ذلك الإنسان الذى لا عقب له من الأولاد. فنزلت هذه السورة تمسح قلب النبى وتنتقم من هذا السفيه ، وجاء ذلك الانتقام فى شكل استهزاء ظهر جلياً فى وصف القرآن الكريم له بأنه هو الأبتر، ثم وأيضا فى شكل تكريم نبى الله محمد ﷺ بأن وهبه الله هذا الكوثر..

وبخلاف أقوال معظم المفسرين على أن ا لكوثر هو ذلك النهر الخاص برسولنا الكريم والذي لن يشرب منه سواه، يقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم: الكوثر: هو الكثير من كل شيء أو المفرط فى الكثرة، وعلى ذلك فإن الكوثر الذى أعطاه ربنا لنبيه الكريم يتمثل فى معان كثيرة منها النبوة فى القرآن، ورفعة شأن هذا النبى وعلو ذكره فى الوجود إلى يوم القيامة، وخلود سنته في كل زمان ومكان، وفى تشريف الله عز وجل له فجعله سيد المرسلين وسيد الأنبياء وسيد البشر.

ويضيف: ونجد الكوثر كذلك فى منح الله تعالى له ثلاثة من أسمائه الحسنى النور والرءوف والرحيم.(١).

ويقول الدكتور أحمد شوقى إبراهيم أيضاً: إن الكوثر هو نهر بالجنة وهو أفضل نهر بها وقد منحه الله عز وجل لرسوله وهو عطاء لم يكن لأحد غيره.

ومن المفسرين الذين ذهبوا أيضاً إلى القول: بأن الكوثر هو نهر بالجنة كل من الإمام الطبرى، والإمام النسفى، معتمدين فى تفسيرهما على ما جاء على لسان ابن مسعود رضى الله عنه وما قاله أيضا ابن عباس رضى الله عنهما. الذى نُقل عنه قوله: إن هذه السورة نزلت فى العاص بن وائل، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بنى سهم، وتحدثا وأناس من صناديد قريش فى

(١) فتح العليم - مصدر سابق.

المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذى كنت تحدث؟! قال: ذلك الأبتر، يعنى النبىﷺ، وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة [1].

ولعلنا نضيف إلى ما سبق وذكرناه بشأن الكوثر، أن الله تعالى قد أعطى نبينا الكريم من كل شىء ما هو كثير، وكذلك أعطاه ذلك النهر الذى لن يشرب منه أحد يوم القيامة أو فى الجنة سواه عليه الصلاة والسلام، ذلك لأنه نبى الرحمة، الذى أرسله ربنا للعالمين نذيراً وبشيراً، وهو بذلك يستحق الكوثر وأكثر ما كثر وأكثر.

** جهنم.. مثوى كل العصاة:

كنا قد حدثناكم فى بداية هذا الفصل عن الجنة وما ارتبط بها من أماكن أخرى أعدت للمتقين والأبرار والصادقين والمؤمنين بالله وبكتبه وبرسله وملائكته، ونصل بكم الآن إلى أعتاب جهنم وقانا الله شرها وأبعدنا وإياكم عن نيرانها بُعد السموات والأرض، بما نقدم لأنفسنا من العمل الصالح.

وجهنم هى المقابل اللفظى للجنة، ذلك لأن الله تعالى قد جعل بعد يوم الحساب طريقين إما يسلك أحدنا بأعماله الصالحة وبرحمة من الله تعالى إلى الجنة أو أن يسلك الطريق العكسى حيث جهنم.

ولقد أطلعنا ربنا تعالى من خلال ما جاء فى كتابه العزيز بما سوف تكون عليه الجنة وما تكون عليه جهنم، وهناك العشرات من الكتب التى تحدثت قديما وحديثا وتناولت بالتفصيل حديث جهنم وما بها من صنوف العذاب المرتبط بالنار، ومن هؤلاء على سبيل المثال ماكتبه محمود مراد الذى قال عن جهنم: إنها مثوى للعصاة والمنافقين والكافرين والمشركين الذين يكبون على وجوههم فيها خوفهم نار، ومهادهم نار، وعن أيمانهم وعن شمائلهم نار.

ليس ذلك فقط، بل نراهم وفق ما جاء فى كتاب الله مقرنين فى الأصفاد، وسرابيلهم من قطران وتغشى وجوهم النار، فقد اسودت وجوهم من ظلمة المعاص

(١) أسباب النزول للإمام أبى الحسن بن أحمد الواحدى ـ تحقيق أيمن صالح شعبان.

ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فينفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطس أكبادهم، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وطعامهم من زقوم.

وفى تصورنا أن هذا الوصف الذى قدمه لنا محمود مراد ينطبق بكل ألفاظه على جهنم الكبرى والتى يدخلها أصحابها ولن يخرجوا منها أبداً. كما جاء فى كتاب الله ﴿هذه جهنم التى كنت بها تكذبون﴾ وبها أيضا دركات ومراتب وأماكن تخص كل من العصاة وفق عمله الذى يظهره الميزان يوم الحساب.

ولقد لاحظنا أن هناك ترادفاً لفظياً بين جهنم وبين النار حتى فى كلمات القرآن الكريم فى بعض السور والآيات، ويبدو أن مصدر هذا الترادف نابع من كون النار هى الوسيلة الفعالة والشديدة المستخدمة فى عذاب أهل جهنم، ولذلك نجد كثيراً ما نقرأ عن النار وكأن المقصود بها جهنم، كما نقرأ عن جهنم وكأنها النار.

ونبدأ بحديث جهنم وما جاء بشأنها فى القرآن الكريم خاصة فى السور والآيات الكريمة، ومن قبل البدء فى تحقيق هذه الخطوة دعونا نتساءل عن مساحة جهنم هذه، وهل ستكون عرضها كعرض السموات والأرض مثلما عرفنا من قبل مساحة الجنة أم أن هناك إختلافات؟!.

ومن عجيب أمر هذا القرآن الكريم أنه قد أخفى علينا مساحة جهنم، مع أن الله تعالى قد أخبرنا بمساحة الجنة، ولكن ما لاحظناه فى هذا السياق أن الله تعالى قد أخبرنا بأن لجهنم عدة أبواب، ولا نعرف بالضبط هل يدخل من كل باب منها نوع من العصاة والكافرين .، أم أن هذه الأبواب المتعددة قد خلقها رب العالمين من أجل أن تكفى أعداد هؤلاء العصاة؟!.

وكما ساق لنا القرآن الكريم وصف المؤمنين الذين تنطبق عليه صفات الداخلين إلى الجنة، فإنه قد أوضح لنا كذلك صفات هؤلاء اللذين سوف يدخلون إلى جهنم أو إلى النار.

ومن أكثر هؤلاء وفق ما ذكره القرآن الكريم .. الكافرون والمجرمون والمتكبرون

والمنافقون الذين سوف يحشرون مع الشياطين، ونستطيع أن نتخيل ما سوف تكون عليه جهنم من خلال ما أخبرنا به رب العزة فى كتابه العزيز، ففيها نار حامية وطعام الزقوم وشراب من حميم.

أما بالنسبة لطعام الزقوم فعن ابن عباس قال: قال رسول الله: "لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لأفسدت على الناس معاشهم".

وبخلاف ذلك هناك ألوان من العذاب لم نعرفه أو نسمع عنه من قبل، ويكفى في ذلك قول الله تعالى فى سورة ق الآية (٣٠): ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ وقول الكافرين في جهنم وفق ما جاء في سورة غافر الآية (٤٩): ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾

وفى كتاب الله جاء ذكر لفظ جهنم في ٧٧ آيه كريمة، وفى أكثر من ٣٥ سورة كريمة، وندعو الله تعالى جميعاً أن يباعد بيننا وبين جهنم وعذابها بُعد السموات والأرض، آمين.

** النار.. التى يعرضون عليها:

كنا قد ذكرنا لكم أننا لاحظنا أن هناك نوعاً من الترادف بين كلمتى جهنم والنار فى كتاب الله، ولكنا وبعد طول قراءة واطلاع رأينا كذلك أن هناك إختلافاً كبيراً فيما بينهم، فالنار هى الوسيلة الرادعة لتعذيب هؤلاء العصاة من الكافرين والمنافقين والمتكبرين ومن الشياطين أيضا، بينما جهنم هى المكان الذى يقيم فيها هؤلاء كى يعذبون فيها بوسائل أخرى غير هذه النار، مثل أكلهم طعام الزقوم وشرب الصديد أو الحميم.

إذن نحن سوف نتحدث هنا عن النار باعتبارها إحدى الوسائل الرادعة والعظيمة المستخدمة فى تعذيب هؤلاء الكافرين، وبالتالى فهى مكان أيضاً مشهور فى القرآن الكريم. كما جاء ذكرها فى العديد من السور والآيات الكريمة.

ونبدأ حديث النار بقول رسولنا الكريم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن

الله تعالى أمر أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام أخرى حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام ثالثة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة".

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق أن النار تقابل النور مثلما جهنم تقابل الجنة، والفارق يتسع بشكل عجيب بين النار والنور سواء فى الاستخدام أو فى النتائج وسواء فى الدنيا أو فى الآخرة.

فالنور هو عنوان أصحاب الجنة ومن أهم سيماهم، أما النار فهى عنوان جهنم ووسيلتها الشديدة من أجل تعذيب أصحابها، وهناك بخلاف ذلك فروق أخرى كثيرة بين النار والنور، ونحن نتعامل مع كل منهما فى هذه الدنيا، أو مع بعض الأشباه المخلوقة لكل من النور والنار.

وهناك العشرات من المؤلفات القديمة والجديدة التى حدثتنا وبالتفاصيل عن نار جهنم ومصدرها وقوتها ونتائج من يصلونها، فهم لا يموتون أبداً، رغم شدة العذاب.

وحين نقف عند حدود ألفاظ وكلمات القرآن الكريم كى نستطلع معاً ما جاء بشأن النار فى هذا الكتاب العظيم. يتضح لنا أن الله تعالى قد ذكر لنا العديد من أنواع النيران.. منها ما هو مرتبط بالدنيا مثلما جاء فى قوله تعالى فى سورة آل عمران الآية (١٨٣): ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ وفى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية (٢٦٦): ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ وفي قوله تعالى فى سورة طه الآية (١٠): ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

إضافه إلى ذلك ما جاء بشأن النار التى أوقدت لإبراهيم عليه السلام وما جاء بشأنها فى سورة الأنبياء الآية (٦٩) والنمل الآية (٨) والنور الآية (٣٥) و(٢٩) القصص و(٧٦) ص. ومعجم الفاظ القرآن الكريم يسمى هذا النوع من النيران باسم النار المعهودة فى مقابل نوع ثان وهو المتمثل فى نار الآخرة مثلما جاء في قوله تعالى: فى الآية (٣٤) البقرة﴿﴾، ثم لفظ ثالث أو نوع ثالث وهو نار الآخرة مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ الآية (٣٥) التوبة. وكذلك نوع رابع هو نار السموم مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ الآية(٢٧) فى سورة الحجر.

وأخيراً نار الله التى وصفها لنا رب العزة فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ الآية (٥)، (٦) فى سورة الهمزة.

وبإحصاء سريع لعدد الآيات والسور التى جاء بها ذكر النار نقول إنها ذكرت فى ١٢٥ آية كريمة وفى أكثر من ٥٠ سورة كريمة. وبخلاف ذلك ذكر لنا القرآن الكريم النار بألفاظ أخرى مثل "ناراً" والتى جاء ذكرها فى ١٩آية كريمة وأكثر من عشر سورة كريمة، وما نود أن نشير إليه من قبل أن نفترق ونبتعد عن هذه النار، أن وقودها فى الدنيا غير وقودها فى الآخرة، فإذا كنا نشعل نيران الدنيا بالوسائل المعروفة لدينا جميعاً فإنها يوم القيامة تشتعل بوقود الناس والحجارة!! وفق ما أخبرنا الله تعالى فى كتابه العزيز.

وهناك من المفسرين ومن العلماء الذين يقولون إن نار الدنيا هي جزء يسير جداً قد لا يقاس فى مقابل نار الآخرة، ليس هذا فقط بل إن نار الدنيا قابلة للإطفاء، أما نار الآخرة فلن تنطفىء أبداً وستظل تحرق هؤلاء الكافرين وأعوانهم.

** الدرك الأسفل.. فى قاع مظلم:

عندما تحدثنا من قبل عن جهنم وقانا الله شرها وكتب لنا النجاة منها، أشرنا إلى أنها تحتوى على دركات وأماكن وفقاً لمكانة كل من فيها من العصاة، ومن هذه الدركات أو الأماكن الخاصة بأصحابها والمتميزين بنوع من المعصية التى يستحقون عليها العقاب والعذاب. "الدرك الأسفل".

ويبدو أن جهنم بها الكثير من هذا الدرك مع اختلاف مكانه، فهناك الأعلى والأسفل والمتوسط وهكذا، ولكن يبدو أن أشد هذه الأماكن قوة وتعذيباً داخل جهنم هو الدرك الأسفل وفق ما أخبرنا به القرآن الكريم.

والدرك فى اللغة: أسفل كل شىء يتميز بالعمق، كالبئر ونحوه، فيقال بلع الضواحى درك البحر، وهو أيضا طبق من الأطباق جهنم، حيث قال الله تعالى " إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار"وهكذا أخبرنا النحاة فى المعاجم اللغوية.

إذن الدرك الأسفل من النار هو إحدى الحفر العميقة الموجودة فى جهنم والمخصصة لتعذيب وعقاب المنافقين، هؤلاء القوم الذين يظهرون ما لا يبطنون، وكم قاس منهم رسولنا الكريم وقت بدء دعوته، ولا يزال هؤلاء المنافقين من أشر الناس وأخطرهم على الدنيا ومن فيها، بسبب تسترهم وراء كونهم معك، ومن خلفك يطعنونك فى الظهر!!.

ويؤكد هذا المعنى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أخبرنا بأن الدرك الأسفل هو قصر الشىء ذى العمق، والآية السابقة قد جاء ذكرها في سورة النساء الآية (١٤٥) مع أن كتاب الله قد ساق لنا لفظاً آخر عن الدرك وهو للفظ "دركاً" أى لحاقاً وإدراكاً وذلك في قوله تعالى: ﴿لا تخاف دركا ولا تخشى﴾.

إذن الدرك الأسفل هو أعظم مكان من حيث شدة ما فيه من العذاب وموقعه أسفل إحدى حفر النار داخل جهنم.

والإمام الطبرى قد أشار كذلك إلى موقع هذا الدرك فى حديثه عن تفسير هذه الآية حيث قال: إن هذه الآية ارتبطت بما قبلها وذلك فى قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا لا تتَّخذُوا الْكَافرين أَوْلياءَ من دُون الْمُؤمنين أَتُريدُون أن تجْعلُوا للَّه عَلَيْكُمْ سُلْطانًا مُبينًا﴾ النساء (١٤٤).

هذه الآية التى تحذرنا من اتخاذ الكافرين أولياء وألا نصاحبهم من دون أهل ديننا فنكون بذلك ممن وجبت لهم النار، أتريدون أن تكون لله حجة ظاهرة عليكم فتتعرضوا لغضبه وتستوجبوا ما استوجبه أهل النفاق من العذاب.. هؤلاء فى الطبق أو الطابق الأسفل من أطباق جهنم.

أما أصحاب تفسير الجلالين فأخبرونا بصفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنونه من الكفر ليدفعوا عنهم عقاب الدنيا، هؤلاء سوف يعاقبهم الله تعالى بأن أعد لهم منزلاً صعباً يوم القيامة وهو المكان الأسفل من النار حيث مقرها.

ومن حكمة الله تعالى أن أخبرنا عن هؤلاء الصنف من المنافقين الذين ظهروا فى حياة محمد رسولنا الكريم، وهم كذلك دائمًا ما يظهرون فى كل زمان وفى كل

مكان، وبالتالي فإن موعدهم يوم القيامة إذ يحاسبون حساباً شديداً، ثم يلقى بهم في أعمق حفرة من حفر النار جزاء هذا النفاق المفضوح، وما أكثر هؤلاء اليوم وما أكثرهم أيضاً غداً. فتعالوا نحذر منهم جميعاً.

** الحطمة.. التى بها المكذبون:

ولدينا كذلك درجة أخرى من درجات جهنم أو إن شئت فقل هو اسم آخر لها، وهو الحطمة، ويقول المعجم الخاص بألفاظ القرآن الكريم: إن هذا الاسم قد جاء صفة تدل على الكثرة وقد أطلق كذلك لأنها جهنم التى تحطم المكذبين بها.

إذن نحن هنا أمام صنف آخر من صنوف البشر من الذين سوف يصيبهم عذاب النار يوم القيامة، ؟ هؤلاء الذين يكذبون بيوم الدين وبالجنة وبالنار على وجه الخصوص؟.

ولقد أعد الله تعالى لهم عذاباً شديداً سوف يحطم عظامهم داخل نار حامية وفق ما كان يصدر منهم في حق جهنم التى كذبوا بها.

والله تعالى قد أشار إلى هؤلاء وإلى مصيرهم فى قوله تعالى فى سورة الهمزة الآيتين (٤) و(٥) ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾.

إذن ربنا الكريم قد أخبرنا بأن للمكذبين بيوم الدين وبالآخرة وما فيها من عذاب.. مكان خاص سوف يعذبون فيه وهو ما يعرف باسم الحطمة كإحدى دركات جهنم.

ومن أجل أن يلفت ربنا العظيم أنظارنا لأهمية هذا المكان وعورته وصعوبته خاصة بالنسبه لهؤلاء المكذبين: يقول تعالى فى نفس الآية ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾. والمعجم الوجيز يقول لنا عن المعنى اللغوى لكلمة الحطمة: "هى الراعي العسوف العنيف، ومن الإبل أو الغنم الكثيرة التى تحطم الأرض بخفافها وأظلافها وتكسر شجرها وبقلها فتأكله. وهي أيضا النار الشديدة.

والسؤال عن هذه الحطمة يكون.. لمن؟!. والدكتور أحمد شوقي إبراهيم يخبرنا

بأنها لكل هماز لماز. وهو ذلك الإنسان الذي يعتبر أكثر من المنافق فساداً وانحرافاً، لأنه إنسان تتصف نفسه بالعدوانية ويشعر فى تصرفه المعيب هذا براحة لنفسيته المريضة، كما أن صاحب هذه الشخصية كثير النقد لكل شيء، كثير الرغبة فى هدم أى عمل بناء، هو بعد ذلك كثير الهجوم على كل ما يعارضه بالقول أو العمل.

هذا الهماز اللماز يكون أيضاً من صفاته حبه للمال ولجمعه، ولعله يجد في ذلك تعويضاً نفسياً لما يشعر به من فشل من داخل نفسه، فالمال هو المنقذ الوحيد الذى يراه كى يهرب من فشله وتفاهة نفسه، مع تخيله بأن المال هو القيمة الأسمى فى الحياة الدنيا.

ولقد أقسم رب العالمين بأن مصير هذا الصنف من البشر هو الحطمة، أى ليطرحن فيها مهاناً ومنبوذاً بسبب أفعاله القبيحة.

ويؤكد الدكتور أحمد شوقى إبراهيم أيضا على أن الحطمة هى اسم من أسماء النار بخلاف ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنها درجة من درجات نار جهنم، بدليل أن الله تعالى قد أضاف إليها لفظ نار الله الموقدة، أى فهى ليست كمثلها. نار الأخرى وهى موقدة أي لا تهدأ أبداً ولا تنطفئ.

إذن هى نار رهيبة ومفزعة، ليس هذا فقط بل هى نار دائمة التعذيب لمن فيها... وليس لهم فرصة من هروب أو خروج منها ماداموا فيها.

هذه النار وفق اللفظ المذكور في الآية السابقة تحطم من فيها من قبل أن تحرقهم بنارها، ومن ثم يعودون كما كانوا ثم يحطمون ويعذبون بها، جزاء ما ارتكبت أيديهم من أفعال أخطرها استخدام ألسنتهن في الهمز واللمز، ضد عباد الله.. وقد تخيلوا أن جمعهم وعدهم لأموالهم سوف يكون هو سبيل خلودهم فى الدنيا، وهم قد خلدوا فى الحطمة من دون زمن أو توقف.

** سقر.. أحد أبواب جهنم:

لأول مرة منذ أن التقينا فوق أوراق هذا الفصل نجد أحد المفسرين يتحدث عن أحد أبواب جهنم. والذى خصصه رب العالمين كى يدخل منه نوع من العصاة وهو باب سقر.. إذن فى جهنم أماكن ودركات وكذلك لها أبواب قالوا إن عددها سبعة.

وسقر قد جاء ذكرها فى كتاب الله فى أكثر من آية كريمة كدليل على وجودها كمكان مشهور فى كتاب الله وعلى أهميتها أيضاً.. ففى سورة القمر الآية (٤٨) قال ربنا تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ والمعنى الظاهر لهذه الآية أن هؤلاء العصاة سوف يجرون أو يسحبون من أقدامهم أو من أيديهم بواسطة الملائكة وهم في طريقهم إلى جهنم التى يدخلونها من باب سقر.

كما جاء نفس اللفظ في ثلاث آيات كريمات فى سورة المدثر: في قوله تعالى ﴿سأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ ثم فى قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ الآبيات (٢٦) و(٢٧) و(٤٢). وفي تفسير الإمام الطبرى للآية التي جاء ذكرها في سورة القمر: قال: هؤلاء يسحبون باعتبارهم من المجرمين على وجوههم فى النار، ويقال لهم ذوقوا مس جهنم. أما فى تفسيره للآيات الثلاث الأخرى والتى جاء بها ذكر "سقر" كمكان مشهور في القرآن الكريم فقد قال عنها: إن هذا الكافر حين استمع للقرآن الكريم قال إنما هذا سحر يأثره أى يرويه عن غيره، وما هذا الذى يتلوه محمد إلا كلام البشر، وما هو بكلام الله. من أجل ذلك توعده رب العالمين بعذاب سقر.. ذلك الباب الذى سوف يدخله ليتعذب خلفه عذاباً شديداً، والله تعالى يؤكد لنا عظم عذاب سقر فى قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سقر﴾ وأى شىء أعلمك يا محمد ما سقر؟! إنها نار لا يتبقى فيها حى ولا تذر من فيها ميتاً، إنها تحرقهم كلما جددُ خلقهم!، مغيرة لبشر أهلها.. أى تلوح وتظهر لأنظار الناس من مسافات بعيدة لعظمها. ليس هذا فقط، بل إن عليها تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها.

ويضيف الإمام الطبرى: أن سبب نزول هذه الآية والمقصود بدخول باب سقر في جهنم هو الوليد بن المغيرة الذى أرسلته قريش إلى النبى ﷺ ليستمع للقرآن ويبدو لهم رأيه فيه!، فلما جاء رسول الله وقرأ عليه القرآن رق له قلبه وكاد أن يسلم، ولما رجع إليهم قالوا: ماذا وراءك؟! قال لهم: والله لقد سمعت قولاً حلواً أخضر يأخذ بالقلوب، والله إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر. فقالت قريش: صبأ الوليد: أى ترك دينه ودخل في الإسلام، فلما

سمع أبو جهل بذلك ذهب إليه وأخبره بأن قريشاً لن ترضى عنك حتى تقول فى القرآن قولاً يعلمون أنك منكره وكاره!. قال: فدعنى حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يرويه محمد وينقله عن غيره.! فكان جزاؤه أن أنزل الله فيه هذه الآيات التى توعدته بدخول أحد أبواب جهنم المخصص ربما له وحده والمعروف باسم سقر.

ويبدو من سياق هذا التفسير أن باب سقر فى جهنم يقف عليه عدد كبير من الملائكة إنتظاراً لوصول هؤلاء الجبابرة من الذين سوف يسحبون على وجوهم من مسافات بعيدة فى طريقهم إلى هذا الباب!.

وهذا اللفظ في المعجم اللغوي معناه أنه اسم من أسماء جهنم، وفي موضع آخر فى المعجم نفسه: «سقرت النار أو الشمس فلاناً - سقراً أن لوحت جلده وغيرت لونه».

ويبدو أن هذا المعنى قريب جدًا مما أشار إليه رب العالمين بشأن ما سوف يحدث للعصاة فى جهنم أو فى سقر، هؤلاء الذين يبدل الله جلودهم كلما نضجت أو كلما احترقت!ولقد ظنوا أن عذابهم سوف لا يستمر بمجرد أن تحترق جلودهم. والله دائما ما يخيب ظنونهم إذ يعيد لهم خلق جلودهم مرة أخرى كى يعذبوا من جديد، وهكذا بلا انقطاع!. حقًا إن نوع من العذاب الشديد والمخصوص والمنوط به مجموعة من الكافرين من الذين أنكروا القرآن الكريم.

** السعير.. فى جهنم حقاً:

أنا لست مع الذين ذهبوا إلى القول بأن السعير هي نفسها جهنم. ذلك لأننا نعتقد بأن السعير درجة أشد من درجات جهنم بدليل قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾.

وعلى ذلك نقول إن السعير ما هى إلا مكانة خاصة داخل الجحيم أو جهنم خصصها رب العالمين لبشر معين من العصاة من الذين يستحقونها.

ولسوف نحاول جاهدين نحن كذلك التعرف على ملامح هؤلاء من أجل التيقن من كونها درجة من درجات جهنم أم هي جهنم نفسها.؟!

والمعجم الوجيز يؤكد ما توصلنا إليه من أن السعير هى نوع من أنواع الجحيم أو هي درجة من درجاتها، حيث يقول اللغويون أن سعّر النار معناها أوقدها، إذن هذا المكان من جهنم به نار خامدة توقد بمجرد دخول أصحابها من العصاة، هؤلاء الذين وصفهم رب العزة بقوله فى سورة الملك الآية (١٠): ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

ومن صفاتهم أيضًا ما جاء فى قوله تعالى فى سورة الفرقان الآية (١١): ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

ويبدو أيضاً من سياق كلمات الآيات المذكور بها السعير أن الله تعالى قد خصها للشياطين وأعوانهم من البشر بدليل قوله تعالى: في سورة فاطر الآية (٦): ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، وقوله تعالى في سورة سبأ الآية (١٢):﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾.

ليس هذا فقط، بل لقد لعنهم الله تعالى.. ويبدو ذلك فى قوله الكريم:﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ الآية (١١) فى سورة الملك، وهكذا نفهم بأن السعير ليست هي جهنم، بل هي جزء من وادى جهنم المتسع، أو إن شئت قل إنما هي درجة من درجات الجحيم التي يُعذب بها أصحاب الصفات السابقة والتى أشرنا إليها من واقع ما جاء فى القرآن الكريم بشأنهم.

وقد يكون لهؤلاء وسائل أخرى من عذاب النار تختلف عما هو موجود فعلاً فى درجات جهنم الأخرى.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم السعير فى تسع آيات فى سورة التكوير (١٢) والحج (٤) و(٢١) لقمان و(١٢) سبأ و(٦) فاطر و(٧) الشورى و(٥) و(١٠) و(١١) الملك.

كما جاء لفظ السعير مضافاً إليه ألف النصب "سعيراً" فى ثمانى أيات فى سورة النساء (١٠) و(٥٥) و(٩٧) الإسراء و(١١) الفرقان و(٦٤) الأحزاب و(١٣) الفتح و(٤) الإنسان و(١٢) الانشقاق، كما جاءت كذلك بلفظ "سعير" وبدون ألف النصب فى آيتين فى سورة القمر هما (٢٤) و(٤٧).

وكان لا بد لنا من أن نتوقف عند تفسير بعض هذه الآيات من أجل الوقوف على ما ترمى إليه كلمة السعير. وفق ما جاء بشأنها فى هذه الآيات.

يقول الإمام الطبرى فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾الآية (٦) فى سورة فاطر: إن الشيطان لكم عدو فاحذروه حذركم من عدوكم فلا تطيعوه، هذا الشيطان يدعو أتباعه ومن أطاعه ليكونوا من المخلدين في نار جهنم.

ونلاحظ هنا في هذا التفسير الربط بين السير في طريق الشيطان وبين دخول الإنسان إلى السعير!!، إذن الله تعالى يبصرنا بأن هناك عدو خفى يدفعنا إلى دخول السعير ومن دون أن ندرى أو ربما يدرى بعضنا بأساليبه.

وفي تفسيره للآية (٢١) في سورة لقمان والتى يقول فيها ربنا العظيم: ﴿وإذا قيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ قال الإمام الطبرى: وإذا ما قيل إلى هؤلاء اتبعوا ما أنزل الله على رسوله، وصدقوا به، فإنه يفرق بين الحق والباطل قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فإنهم كانوا أهل حق!!، أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب النار الملتهبة وهى نار السعير.

أما فيما يخص ارتباط الذين كذبوا بيوم القيامة بدخولهم إلى السعير وما جاء بشأن ذلك في سورة الفرقان الآية (١١) فيقول في تفسيرها الإمام الطبرى: إن الله قد أعد لمن كذبوا بقيام الساعة ناراً متقدة، وإذا ما رأت النار هؤلاء المكذبين من مكان بعيد سمعوا صوت غليانها كما سمعوا لها زفيراً من شدة لهبها وتوقدها.

وخلاصة القول فى الحـديث عن السعير كمكان متسع وعظيم ومـا فيه من أماكن خاصة لأنواع معيـنة من المعصية قد ارتكبها أصحـابها، أن هناك داخل جهنم الكبرى أمكنة ودركات ارتبطـت بأصحابهـا، ولقد بين لنا ذلك القرآن الكـريم فى العديد من سوره وآياته الكريمة.مثل قوله تعالى عن أصحـاب النار وأصحاب الجحيم وأصحاب السعير وأصحاب المشأمة وأصحاب الشمال.